المحاضرة الثالثة:الإسلاموفوبيا:

تمهيد:

بالرغم من تطور مجالات وأساليب الإرهاب ليحاكي التطورات الحاصلة في المجتمعات الإنسانية ولاسيما التكنولوجية منها إلا أنه مازال مقترنا بالبعد العقائدي والثقافي

حيث أصبحت هذه الصفة (الإرهاب) لصيقة دائما بكل ما يتصل أو يمت بالإسلام وهذا اعتداء صارخ على الحقوق الشخصية وحرية المعتقد

حيث أصبحت الدول الغربية توجه دائما اتهاماتها عند حصول اعتداءات إرهابية في موطنها للمسلمين والإسلام وبالتالي أصبحت هذه الفئة وهذا الدين يشكل خوفا ورعبا لمواطنيها وهذا ما يعرف برهاب الإسلام أو الإسلاموفوبيا

ولهذا سوف نحاول من خلال هذا الموضوع معالجة التساؤلات الآتية:

1-مدخل تاريخي:

إن أول استخدام معروف في طباعة الكلمة الفرنسية ISLAMOPHBE كان في كتاب بعنوان * LA POLITIQUEMUSULMENDANSL 'AFRIQUEOCCIDENTALALEF RANÇAISE* للكاتب ALAIN QUELLIEN نشره في باريس سنة 1910.حيث استخدمه الكاتب لنقد طرق التي كانت تنظر بها الإدارة الاستعمارية الفرنسية لثقافة البلدان الإفريقية التي تحتلها. كما ظهر مصطلح في السيرة الذاتية للنبي محمد ﷺ للرسام الفرنسي ALPHNOS ETIENNE DINETوالتي انتهى من كتابتها سنة 1916واهداها لذكرى الجنود المسلمين في الجيش الفرنسي المتوفين في الحرب العالمية الأولى إلا أن كلمة ISLQ;OPHOBIEترجمت في النسخة الانجليزية لهذه السيرة إلى مشاعر معادية للإسلام وليس كإسلاموفوبيا .

أما أول استخدام للكلمة باللغة الانجليزية فكان في مقال ل ادوارد سعيد سنة 1985 أشار فيه إلى العلاقة بين الاسلاموفوبيا ومعاداة السامية .وانتقد الكاتب الكتاب الذين لا يعترفون بان العداء للإسلام في المسيحية المعاصرة قد مضى تاريخيا جنبا مع معاداة السامية .حيث نبع من نفس المصدر وتغذى من نفس التيار . أما التاريخ الحديث لمصطلح الاسلاموفوبيا فبدا في المملكة المتحدة مع أواخر الثمانينيات و بداية التسعينات .حين بدا استخدام المصطلح للإشارة لرفض و العنصرية الموجهان الى المسلمين المقيمين في الغرب .ثم أن ظهور المصطلح في التقرير الصادر عن مؤسسة RUNNYMEDE TRUSTسنة 1997جعل منه مفهوم متنازع عليه في الفضاء العام وليس في المملكة المتحدة فقط في غالبية الدول الأوروبية .

ليبدأ انتشار مصطلح الاسلاموفوبيا بسرعة هائلة إلى حد أن بعض المنظمات كانت لا تتحدث عن حالات العداء ضد المسلمين بدأت تتبنى مصطلحات منها: (لجنة الحقوق الإنسان في الأمم المتحدة) .(لجنة حقوق الإنسان ومكافحة العنصرية في البرلمان الأوروبي).وحتى قاموس LA ROUSSE باللغة الفرنسية الذي تضمن المصطلح لأول مرة سنة 2003.وهنا بدا الاعتراف الفعلي بالظاهرة .

2-تعريف الاسلاموفوبيا:

هي نشاط إعلامي وسياسي و اقتصادي و أحيانا اجتماعي، المقصود منه خلق و تضخيم الخوف .و الكره و العدوانية و العنصرية تجاه الإسلام و المسلمين .من اجل إقناع المستمع بعدم احترام الإسلام ورفض تعاليمه . وهي أهداف تتحقق عبر أحكام مسبقة (STEREOTYPE)لا تستند على دراسة معتدلة وأدلة صحيحة لفهم الإسلام .وإنما تستند في معظم جوانبها على الأحكام مسبقة سلبية ناتجة من انحياز اعمي و تفرقة عنصرية .من اجل الوصول إلى غاية تهميش وإقصاء المسلمين وتوجيهات الإسلام من الحياة الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الدينية.

3- أسـبـاب الاسـلامو فـوبـيـا:

هنـــــاك أسباب عديدة لـــــهذه الظـاهرة نركز على أهمها :

3-1-الجـــــــــهل بالإســـــــــــلام :

قال تعالى :(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله)يونس 39، فلإنسان في العادة يميل إلى معاداة ما يجهل ، بوصفه يشكل خطرا غامضا يحسن الاحتراس منه وتجنبه ،كما قيل الناس أعداء ما

يجهلون ،وهذا ما قد يفسر خوف الكثيرين من الإسلام وميلهم إلى معاداته و النفور منه .

و الواقع أن هناك جهلا صارخا بحقيقة الإسلام ،خاصة في العالم الغربي يستقي من معلوماته عن الإسلام من مصادر قد تفتقر في كثير من الحالات إلى المعلومات الكافية.

3-2-الصورة التي تركها بعض المسلمون:

نتيجة الظروف التي تعيشها المجتمعات الإسلامية حيث تعاني من عدة أزمات ولاسيما على الصعيد السياسي والاقتصادي أثر ذلك على صورتها على الصعيد المحلي والعالمي.

حيث هذه المجتمعات تعاني منذ قرون عديدة واقعا متأزما على مختلف الأصعدة و المستويات: السياسية ، الاجتماعية ،و الاقتصادية.وهو ما ينعكس سلبا على مسارها الحضاري وتطورها من جهة والمساهمة في تطور وارتقاء الإنسانية.

فعلى المستوى السياسي ، عصفت الحروب و النزاعات المسلحة وما تزال تعصف بأرواح الآلاف من أبناء العالم الإسلامي في كل عام.وما يزال العديد من الأنظمة ديكتاتورية ظالمة لا تؤمن بما يدعو إليه الغرب من حرية التعبير والعدالة الاجتماعية والمساواة .

3-3-الصورة النمطية للمسلمين والإسلام:

وهذا يظهر واضحا تماما في حالة الإسلام و المسلمين ،إذ يتم تحميل الإسلام مسؤولية السلوك غير السوي الذي يصدر عن بعض المسلمين .

-إضافة إلى الجهل بحقيقة الإسلام ، فان مصلحة الكثيرين استغلال السلوك السيئ للمسلمين للنيل منهم ومن دينهم ،و إثبات صحة الصور النمطية المرتسمة في أذهان الكثيرين من أبناء الغرب عنهم وخاصة أن بعض المسلمين كان لهم الدور الكبير في نشر وتأكيد هذه الصورة من خلال سلوكاتهم المنحرفة والخطيرة .

3-4-الصورة التي نشرها بعض التيارات الإسلامية المتطرفة:

لقد اعتمدت بعض الجماعات والتيارات الإسلامية على استخدام العنف والقوة من أجل تحقيق أهدافها والحصول على مطالبها فلجأت إلى اقتداء سلوكات إرهابية من قتل وتفجيرات واختطاف...

واعتمدت هذا الأسلوب ليس في بلدانهم الأصلية فقط بل حتى في البلدان الغربية مما جعل تلك الدول تأخذ مواقف صارمة وشديدة من كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين لأن في رأيهم أن مصدر استلهام هذه السلوكات العنيفة والخطيرة نابعة من الإسلام.

3-5-دور الإعلام في تشويه صورة الإسلام والمسلمين

يعتبر الإعلام الوسيط الهام في ربط المجتمعات بالأحداث التي تدور سواء على المستوى المحلي أو الدولي.

وعليه فإن الإعلام له دور كبير في زيادة مساحة الفوبيا من الإسلام من خلال ما ينشره من معطيات حيث يقوم بتضخيم الأحداث وتغيير حجم الأمور واستقاء المعلومات من مصادر غير حيادية.

حيث أن مضمون التغطيات الإخبارية و لغة التقارير الإعلامية تميل غالبا إلى التركيز على الأمور التي تطبع مفاهيم سلبية ومغلوطة عن الإسلام ،مثل الصراع في الشرق الأوسط ،و القضايا المرتبطة بالإرهاب و التطرف ،ويسهم كل هذا في تكوين الآراء عن الإسلام و المسلمين في العالم الغربي ،وهو ما يقود إلى الخوف المرضي من الإسلام أو الاسلاموفوبيا وهذا ما تم إعلانه مثلا بعد اعتداءات11سبتمبر2001على مركز التجارة العالمي ووزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)حيث أعلن الإعلام بعد فترة وجيزة "أن تسعة

إرهابيين إسلاميين قاموا بتنفيذ التفجيرات وينتمون إلى القاعدة في أفغانستان(بقيادة أسامة بن لادن) مع الرغم من أنه كان مستحيلا في ظل الظروف التي أحاطت بالأحداث تحديد الأشخاص المتورطين فيها في اليوم نفسه"

3-6-استخدام الإسلام كوسيلة لتغطية عجز الحكومات:

في غالب الأحيان يستخدم الإسلام والمسلمين كذريعة يستخدمها الغرب وساستهم من اجل تغطية العجز الحاصل في بلدانهم عندما يعجزون عن إيجاد حلول لبعض مشاكل بلادهم كمشكلة البطالة أو بعض الإخفاقات السياسية و الاقتصادية أو هواجس المجتمع من المستقبل فإنهم يبحثون عن كبش فداء لإلهاء الجماهير و التغطية على إخفاقهم ،فيوجهون اتهاماتهم باتجاه المسلمين بتحميلهم مسؤولية المشاكل التي تتخبط فيها بلادهم و للأسف هذا النوع من الخطاب يجد صدى لدى بعض الجماهير المخدوعة ،ما ينجم عنه انشغال الإعلام كله بالقضية و زيادة جرعة الاسلامو فوبيا

5-تجليات الاسلاموفوبيا:

نما مع ظهور الاسلاموفوبيا في كثير من الأقطار الغربية خطاب سياسي يميني متطرف يسعى بشكل حثيث إلى استثمار الوضع الدولي المترتب على هجومات 11 ديسمبر وما اتسم به من خطاب إعلامي معادي للإسلام ،ة الواقع الاجتماعي في الغرب وما يميزه من مشاكل الهوية و الاندماج خاصة بالنسبة للمسلمين و العرب وفي ضوء هذه العوامل نشأ شعور عنصري مناوئ للمسلمين و العرب و للإسلام ،أذكاه الجهل المستحكم بالإسلام لدى فئة واسعة من المجتمعات الغربية و خطاب محرض لدى بعض وسائل الإعلام وآخر متهافت و جاهل للإسلام لدى أكثر المنابر الإعلامية اعتدالا

-سعت الأحزاب اليمينية المتشددة إلى استثمار المناخ اللاحق على هجومات 11 ديسمبر في تكريس الخوف على الإسلام و المسلمين وتوظيفه لغايات انتخابية فظهرت شعارات منها: أسلمت أوروبا و التهديد الإسلامي الخفي ،وغير ذلك من الشعارات

-تجلت نتائج هذا الخطاب في تنامي الأعمال العدائية ضد المسلمين و العرب في حق المساجد و مقابر المسلمين ،وتعتبر الو م أ من أكثر البلدان التي تشهد جرائم كراهية ضد المسلمين خاصة بعد هجمات 11ديسمبر 2001 أين تم تحطيم كل من مركز التجارة العالمي ومقر البانتاغون الأمريكي "...يشكل مركز التجارة العالمي الرمز الرئيسي لاقتصاد السوق والليبرالية وعصب نشاط الرأسمالية الأمريكية...كما يمثل مقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)رمز تفوق العسكرية الأمريكية والحدث كان موجها في الأساس إلى هيبة و م أ كقوى عظمى "، كما ذكر مكتب التحقيق الفيدرالي الأمريكي (اف ،بي، أي) في مايو /ايار 2017 أن نسبة تلك الجرائم شهدت ارتفاعا بنسبة 67%في عام 2015 .

-في النمسا سجلت أحداث الاعتداءات النابعة من كراهية الإسلام زيادة بنسبة 65% حيث تعرض المسلمون هناك لاعتداءات أثرت على حياتهم اليومية .

-في سبتمبر عام 2016في فينا عاصمة النمسا شهدت اعتداء مواطن نمساوي على مقيمة نمساوية من اصل تركي تدعى شهرين دورماز 51 سنة حيث قام بالاعتداء عليها بالضرب و نزع الخمار عن رأسها.

6-سبل التصدي لظـــــــــاهرة الإسلاموفوبيا:

6-1-التثقيف الديني:

* من أفضل السبل لمواجهة ظاهرة الخوف من الإسلام بعث الحياة من الجوانب الحضارية لذلك الدين ،عبر إبراز أبعاده المشرقة وتجلياتها للعالم منخلا النشر والتوعية بتعاليم الدين الإسلامي الصحيحة.

*ضرورة أن يكون المسلمون قدوة وصورة حسنة يمثلون الإسلام ويشكلون مصدرا لتعريف العالم به من خلال إيصال فكرة مفادها" أن الارتباط الفردي بالثقافة أو الدين ليس ارتباطا بنموذج المجتمع أو طريقة واحدة لتنظيم العلاقات مع الفئات الثقافية الأخرى"، وهذا يتطلب جهودا صادقة لتعريف الناس بجوهر دينهم و تعاليمه الحقيقية ، مع ارتباط بذلك من وجوب تلك التعاليم موضع التطبيق سعيا لتجاوز الحالة.

2-6-الحوار و الانفتاح و التواصل:

إن الاحتقان و التربص و التصادم ليس جوا للتفاهم أو التعايش، وذلك من خلال استثمار وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال الحديثة في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام ، ولهذا كان لزاما تصحيح المفاهيم الخاطئة من خلال تعزيز وتفعيل سبل الحوار الحضاري مع الغرب من خلال احترام التعدد الثقافي "التعددية الثقافية مصدر خصب وإثراء للبشرية وأن حماية مكتسبات الإنسان من القيم الكونية مسؤولية كل فرد ،هذه القيم ليس ضمان فقط لبقاء البشرية بل لتقدمها وازدهارها".

تعد الكتابة من الأساليب النافعة و المفيدة في هذا الشأن ،من مقالة إلى قصيدة إلى كتاب ،إلى دراسة إلى نشرة ،إلى بحث ،إلى تغريدة و خاطرة ،ولا ننسى الفايسبوك ،و التويتر ، فوسائل التواصل هذه لها أكبر أثر .

3-6-تعزيز سبل المواطنة دون المساس بتعاليم الإسلام:

يجب على المسلمين الذين يقيمون في دول غير إسلامية لظروف معينة(العمل،الدراسة...) أن يقدموا صورة حسنة عن هذا الدين بطريقة تصرفهم وسلوكهم، لكن في المقابل عليهم احترام قواعد وقوانين هذا البلد" الكثير منا الآن يعيش هنا في هذا البلد مستوطنا منذ عشرات السنين و لنا أبناءنا الذين ولدوا ونشؤوا و ترعرعوا هنا ...فأنت الآن مواطن كندي تتمتع بكافة حقوقك المترتبة على هذا الأمر ،وكما أن علينا واجبات فلنا حقوق ...فانا و أنت جزء من هذا البلد ونسيجه و حضارته، لست ضيفا ولا جزءا مبتورا ولا منعزلا، و هذا البلد يتمتع بالحريات و الاحترام حقوق الإنسان و العدل و المساواة إلى حد كبير ،فلنمارس هذا الدور ونطالب بما نريد تحقيقه من حقوق"

خلاصة:

إن مفهوم الإسلاموفيا أخذ أبعادا وتجليات متعددة وخطيرة خاصة في الآونة الأخيرة على الساحة المحلية(المسلمين)وعلى الساحة الدولية(دول الغرب) ،حيث أصبح يشكل تهديدا واضحا وصارخا للحريات الفردية وحرية المعتقد وفيه نزعة عنصرية جعلت من المسلمون مهددون في تواجدهم خاصة في المجتمعات الغربية ،وهنا يظهر دور المسلمين في محاربة هذه الصفات التي ألصقت بهم وذلك بالالتزام بقواعد السلوك والتعامل التي ينص عليها الدين الإسلامي والداعية إلى التسامح واحترام الغير والتشاور والحوار والنابذة للعنف والتطرف.

الأسئلة:

-على ضوء ما درست استنتج تعريفا للإسلاموفوبيا

-كيف تفسر التكالب على الإسلام والمسلمين؟

-ما هي السبل التي يجب اتباعها من أجل تخطي هذه الظاهرة؟